



بقايا صور

احضارة الصورة، هكذا قيل عن القرن العشرين، حتى اعتقدنا ان الصورة، فوتوغرافية كانت او سينمائية او تلفزيونية، صارت اقوى من الواقع الذي تعكسه او تستلهمه او تؤلّبه او تعلّبه. حضارة الصورة، اين هي الآن؟ ربما بين ركام "مركز التجارة العالمية"، ضحية غير مرتقبة من ضحايا اعتداءات ١١ ايلول والحرب على الارهاب التي اطلقت رداً عليها. لم تختف الصورة كلياً، هذا صحيح، ولعل تلك الصور التي سجّلت اصطدام الطائرتين المخطوقتين بالبرجين التوأمين ثم انهيار المبنيين واحداً تلو الآخر ستبقى طويلاً ماثلة في الازهان. لكن ما تلا تلك اللحظة غابت صورته. حتى حركة "طالبان" الغريبة عن حضارة الصورة تنبّهت الى هذا الغياب فعدلت عن رفضها لوجود البعثات التلفزيونية (غير "الجزيرة") في امارتها وفتحت الباب ربع فتحة سعياً الى تعميم مشاهد الدمار التي يخلفها ولا ريب القصف الاميركي، ومن خلالها الى استثارة العطف الدولي. حركة "طالبان" تجهل حضارة الصورة، فكيف لها ان تترك ان الغرب الذي انتج هذه الحضارة هو في طور اعادة صياغة علاقته بالصور؟

|| الخطأ الاكبر كان في الاعتقاد ان الصورة ضرورية للتفاعل الجماعي مع حدث سياسي. خطأ لأن ما يجري في الولايات المتحدة منذ شهر يدل ان التعبئة الوطنية، وحتى "الوطنجية"، قادرة ان تبلغ اوجها من دون ان تغذيها مشاهد الحدث الذي تسبب بها. لا جنث، لا دم، لا عويل. كل ما كنا نتصوره ملازماً للانفعال غاب ولم يغب الانفعال. العبرة قد تكون مفيدة لمخرجي بعض الصحف العربية الذين نسوا القاعدة المهنية القائلة بتجنّب صور الفظاعات، ليس فقط احتراماً للقارئ بل ايضاً للضحية المصورة. هذه القاعدة المهنية الاخلاقية ليست العامل الوحيد وراء غياب الصور عن ضحايا "مركز التجارة العالمية". كانت من دون شك سبب رد الفعل الاول، لكن عاملاً آخر جاء يكرس تغييب الضحايا.

انه عامل ذقنا الامرّين منه في هذه المنطقة من العالم، وان تكن تعبيراته المعهودة عندنا بدائية: التوجيه الوطني . منظمة "مراسلون بلا حدود" خصصت تقريراً مسهباً لهذه الظاهرة وللأساليب الرقابية المباشرة وغير المباشرة المستخدمة في هذا التوجيه، وقد بدا لها، كما بدا قبل ذلك في العديد من التحقيقات المنشورة في الصحافة الاوروبية، ان سبب غياب صور الضحايا يذهب ابعد من مجرد احترام القاعدة المهنية الاخلاقية المعروفة. اذ كان يمكن مراعاة هذه القاعدة من دون حجب كل الصور، يقول عدد من الصحفيين ومسؤولي الشبكات الاوروبية. ما يستغربه الصحفي يراه المؤرخ عادياً، ففي جميع الحروب يسعى المحارب الى اخفاء خسائره حتى لا تهون العزائم، على ما يشرح في التقرير نفسه مارك فرو، الكاتب الفرنسي الذي خصص جزءاً من ابحاثه للعلاقة بين التاريخ والسينما قبل ان يعمل على المادة الارشيفية المصورة في برنامج تلفزيوني مشوّق كان يعرض على قناة "ارتي" الثقافية. في الحرب يتم تعليق نشاطات حضارية شتى. في الحرب الجديدة، يتم تعليق حضارة الصورة. لا حضارة ولا صورة. وبعد، كيف نرى صدام الحضارات؟

||| الاعتقاد بضرورة الصور يبدو خطأً في ظاهرة اخرى نشاهدها كل يوم منذ شهر. والاصح القول اننا نسمعها. انها ظاهرة تحوّل التلفزيونات مجرد اذاعات. وهذه ايضاً نعرفها جلياً في لبنان



حيث ما ان يأتي الكلام الى السياسة منذ عشر سنين حتى يغلب الشفهي على الصوري، في ما عدا استثناءات قليلة يذكر منها برنامج "بالعين المجردة"، الوثائقي الذي تعده ديانا مقلد على "المستقبل". ما بعد ١١ ايلول جعل من معظم التلفزيونات العالمية تلفزيونات لبنانية، وان بإمكانات اكبر ومراسلين اكثر واختصاصيين اعمق. بل ان الشاشة تحولت بدورها، فصارت اقرب الى الكومبيوتر، ولكن من دون اماكن الاخذ والرد. عجة اخبار تبرر الكتابة التي تتكدس على الشاشة؟ ولا حتى، فالخبر نفسه يتكرر مرات ومرات. لا، انها قلة الصور.

IV ليست "الجزيرة" افضل حالاً، رغم وجود فريقين لها في افغانستان. الصور قليلة والكلام كثير. والكلام ليس وفقاً على "الجزيرة". تجد مثله، او افضل منه بقليل، او اسوأ منه، على جميع الاقنية الفضائية العربية، كل حسب امكاناته. الغرب الذي يعشق الاستثناءات العربية يريد "الجزيرة" استثناءً. وهي تشاطره الرأي. ولكن ما الذي يبرر الاستثنائية؟ ليس الاخبار من خارج افغانستان، اذ يجدها المشاهد/المستمع عند "ام. بي. سي." او عند قناة ابو ظبي، وكان يمكنه ان يجدها على الشاشات اللبنانية لو ان القيمين عليها لم يخلطوا الصناعة الاعلامية بحسابات التاجر الصغير. وليس ايضاً التحليلات، فكلها متوافر، ولو بوتيرة ابطأ، على شاشات اخرى. وكذلك "الشارع العربي" متوافر عند الجميع.

طبعاً هناك الوجود في كابول، والاستخدام الذي يستطيع ان يلجأ اليه ابن لادن. لكن الوجود في كابول نجاح اقتصادي وسياسي، لا نجاح اعلامي. الا اذا اعتبرنا تلقي شريط مسجل بواسطة ساعي بريد مسلح وملتح عملاً اعلامياً، او بث الشريط قبل معاينته سبقاً صحافياً.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000728	
Media	(Support)	HC
Title		بقايا صور
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/١٠/١٥ 15/10/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اسامة بن لادن
	Locations	اميركا - افغانستان
	Dates	
	Themes	اميركا - ١١ ايلول - ارهاب - اسامة بن لادن - حرب على ارهاب - قصف اميركي - حركة طالبان - منظمة مراسلون بلا حدود - صحافة اوروبية - صدام حضارات - تلفزيون مستقبل - محطة جزيرة - حضارة صور - اقنية عربية - محطة ام بي سي - قناة ابو ظبي
Subject		